بحث فى « كاد »

من الأوجه الآتية :

١ ـ أصل ألف كاد .

٢ ـ استعماله مثبتا ومنفيا .

٣ ـ معنى كاد وعملها .

دكتور / محمد عبدالله سعادة

الوجه الأول

أصل ألف كاد

قال ابن سيده[١] : « كاد كودا ومكاداً ومكادة : هم وقارب ولم يفعل ، وهو بالياء أيضا .

وقال ابن يعيش[٢] : « واعلم أنهم قد اختلفوا فى ألف كاد أمن الواو هى أم من الياء . والأمثل أن تكون من الواو . وأن تكون من باب فعل يفعل مثل علم يعلم ، ونظيره من المعتل خفت أخاف . وإنما قلت إنها من الواو لأمور .

منها : أن انقلاب الألف إذا كانت عينا عن الواو أضعاف إنقلابها عن الياء والعمل إنما هو على الأكثر .

الثانى : قولهم فى مصدره « كود » زعم الأصمعى أنه سمع عن العرب من يقول : « لا أفعل ذلك ولا كودا » فإذا اتصل بضمير المتكلم أو المخاطب قلت كدت بكسر الفاء ، لأنهم نقلوا كسرة العين إلى الفاء ليكون أمارة على تصرفه ودليلا على المحذوف » .

ويرى الرضى أن الأشهر أن تكون ألف كاد ياء فقال[٣] : « وهو من كدت تكاد كيدا ومكادة كهبت تهاب . وحكى الأصمعى كودا بالواو والأول أشهر » .

---

(١) اللسان كود .
(٢) شرح المفصل ٧/١٢٤ .
(٣) شرح الكافية ٢/٣٠٤ .

الوجه الثاني

استعمالها مثبتة ومنفية

إختلفت آراء النحويين واللغويين فى معنى « كاد » فى حالتى الإثبات والنفى .

فالحق وهو رأى جمهور النحويين أن كاد مثل غيرها من الأفعال فإثباتها إثبات لمعناها ، وهو مقاربة الفعل . نحو : كاد محمد يقوم ، أى قارب القيام ولم يقم ، فيلزم من ذلك نفى مضمون الخبر ، لأن القرب من القيام لا يكون إلا مع انتفاء القيام ، إذ لو حصل القيام لكنت آخذا فيه لا مريبا منه .

ونفى كاد نفى لمعناها ، وهى نفى المقاربه ، ونفى المقاربة يستلزم نفى الفعل نفسه من باب أولى ، بل هو أبلغ من نفى الفعل نفسه . فإذا قلت : ما كاد محمد يقوم ، فهو نفى القرب من القيام ، وهو أبلغ من نفى القيام نفسه ، ولهذا كان قوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » (١) معناها أنه لم يقارب الرؤية ، وهو أبلغ من نفى الرؤية نفسها ، أى أبلغ من قوله « لم يرها » .

وقال المبرد فى هذه الآية (٢) : « فمعناها والله أعلم لم يرها ولم يكد أى لم يدن من رؤيتها » .

وذلك هو رأى الزمخشرى أيضا . قال (٣) « وقوله تعالى « إذا أخرج يده لم يكد يراها » على نفى مقاربة الرؤية ، وهو أبلغ من نفى نفس الرؤية » .

ويقول ابن يعيش شارحا لقول الزمخشرى : « والذى شجعهم على ذلك ما تضمنته الآية من المبالغة بقوله : ظلمات بعضها فوق بعض » .

وقال الأخفش أيضا (٤) : « أى لم يقارب الرؤية » .

---

(١) النور ٤٠ (٢) المقتضب ٣/٧٤ وانظر المغنى ٢/١٨٢ .
(٣) شرح المفصل ٧/١٢٤ (٤) اللسان (كيد) .

ومجمل القول فى ذلك أن خبر كاد منفى دائما ، مع نفى كاد أو إثباتها ، وذلك لأنها إن كانت مثبته دلت على مقاربة حدوث الفعل ، والمقاربة تقتضى عدم حصول الفعل عقلا ، وإذا كانت منفيه دلت على نفى المقاربة فينتفى حصول الفعل من باب أولى (١) .

الرأى القائل بأن إثبا - كاد نفى
ونفيها إثبات والرد عليه

قال ابن مالك (٢) : « قد اشتهر القول بأن كاد إثباتها نفى، ونفيها إثبات حتى جعل هذا المعنى لغزا . ومن زعم (٣) هذا فليس بمصيب بل حكم كاد حكم سائر الأفعال . فإذا قال قائل : كاد زيد يبكى فمعناه قارب البكاء . فإذا قال لم يكد يبكى فمعناه لم يقارب البكاء . ولهذا كان قول ذى الرمة (٤) .

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب ميه يبرح

صحيحا بليغا ، لأن معناه إذا تغير حب كل محب لم يقارب حتى التغيير ، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه .

وقد بين الرضى (٥) فى شرحه على كافية ابن الحاجب هذا الزعم والرد عليه فقال : « قال بعضهم فى كاد ان نفيه اثبات ، واثباته نفى بخلاف سائر الأفعال . فإن أرادو أنك اذا قلت كاد زيد يقوم ، وأثبت القرب فهذا الإثبات نفى فهو

---

(١) انظر المغنى ١٨٢/٢ . (٢) شرح الكافية الشافية ١٣٩/١ تحقيق دكتور أحمد الرصد . كلية اللغة العربية القاهرة .

(٣) الفراء هو الذى زعم ذلك فقال : العرب تقول « ما كدت أبلغ إليك » وأنت قد بلغت . قال « وهذا هو وجه العربية » انظر اللسان كيد .

(٤) الخزانة ٧٤/٤ . (٥) شرح الكافيه ٣٠٦/٢ .

غلط فاحش وكيف يكون اثبات الشيء نفيه ، وان أرادوا أن اثبات كاد دال على نفى مضمون خبره فهو صحيح ، لأن قربك من الفعل لا يكون الا مع انتفاء الفعل ، وأما كون نفيه اثباتا فإن قصدوا أن نفى مقرب فى « ما كدت أقوم » اثبات لذلك المضمون فهو من أفحش غلط ، وكيف يكون نفى الشيء اثباته » .

ثم يقول الرضى : « فإن حصلت قرينة قلنا بثبوت مضمون خبر كاد بعد انتفائه كما فى قوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » أى ما كادوا يذبحون قبل ذبحهم ، وما قربوا منه إشارة إلى ما سبق ذلك من تعنتهم ، وهذا التعنت دأب من لا يفعل : واثبات الفعل مفهوم من القرينة . أى قوله تعالى : فذبحوها لا من كادوا ... » .

والتعليل الذى ذكره الرضى فى هذه الآية ذكره ابن هشام (١) أيضا وهو أنه فهم حصول الفعل من دليل آخر وهو قوله فذبحوها . فهو اخبار عن حالهم أول الأمر فإنهم كانوا أولا بعداء عن ذبحها بدليل تعنتهم .

وأغلب الظن أن الذين ذهبوا الى أن نفى كاد اثبات احتجوا بهذه الآية ، وفهموا الآية على أنها تصوير لحالة واحدة فى زمان واحد . والحق ان الآية تدل على زمانين وحالين . فقوم موسى تهربوا من ذبح البقرة وأطالوا أسئلتهم وعنادهم وهذه حالة تدل على أنهم لم يقاربوا الذبح . ثم بعد ذلك ذبحوها (٢) .

ويمكن أن نستعرض « كاد » فى القرآن الكريم لنعرف دلالة كاد فى الإثبات والنفى ، ويمكن الرد على أصحاب الرأى القائل بإن اثبات كاد نفى ، ونفيها اثبات .

---

(١) المغنى ٢/١٨٢ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ١/٧٥ .

أولا : فى الإثبات

١ ـ قال تعالى [١] : « قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » والمعنى أن هارون لم يألُ جهدا فى معارضة قومه ووعظهم ، ولكنهم غلبوه على أمره وقاربوا على قتله .

٢ ـ قال تعالى [٢]: « من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، ثم تاب عليهم» نزلت الآية فى غزوة تبوك، عندما خرجوا فى شدة الحر، وفى سنة مجدبة ،وعسر من الزاد والمـــاء ، ولذا كادت قلوب بعضهم تنصرف عن الثبات على الإيمان ، قاربت هى الزيغ ، ولم تزغ [٣] .

(٣) قال تعالى [٤]: « وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك »ومعناه: ثبت الله تعالى رسوله وعصمه ، ولولا عصمة الله له لقـارب الرسول أن يميل إلى الموافقة على شروط قريش حينما عرضوا عليه أن يسلموا .

٤ ـ قال تعالى [٥] : « لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه » أى أنهم نسبوا الى الله ولدا ، وهذا أمر شنيع وفظيع وقاربت السموات أن تنفطر من هول هذه الكلمة .

٥ ـ قال تعالى [٦] : « يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » .
أى أن الزيت بسبب صفائه ولمعانه يقارب أن يضىء من غير نار .

٦ ـ قال تعالى [٧] « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » .
والمعنى أن ضوء البرق لا يخطف الأبصار ، بل يقارب أن يخطفها .

---

(١) الأعراف ١٥٠ .
(٢) التوبة ١١٧ .
(٣) ابن كثير ٢/٣٩٦ .
(٤) الإسراء ٧٣ .
(٥) مريم ٨٨ .
(٦) النور ٣٥ .
(٧) النور ٤٣ .

قال تعالى [١] : « ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » .
أى أن الرسول دعاهم للاسلام فقاربوا أن يتركوا دينهم لولا تمسكهم بعبادة أصنامهم.

وقد ظهر من الآيات السابقة ان اثبات كاد يدل على مقاربة حدوث الفعل .

ثانيا نفى كاد فى القرآن الكريم

١ ـ قال تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون .

وقد سبق الحديث عنها .

٢ ـ قال تعالى [٢] : « حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا » .

أى أن ذا القرنين لما بلغ السدين وجد من دونهما قوما لا يقاربون الفهم لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس ، فلغتهم غريبة ، ولغته عربية عليهم [٣] .

نخلص من ذلك أن نفى كاد يدل على نفى المقاربة .

الرأى القائل بأن نفى كاد يفيد حدوث الخبر بعد بطء وعسر :

ذهب بعض النحويين واللغويين إلى أن نفى كاد يفيد حدوث الخبر بعد بطء وعسر . فقال [٤] ابن يعيش فى قوله تعالى : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » : والذى أراه أن المعنى أنه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها . والذى يدل على ذلك قول تأبط شراً [٥] :

---

(١) الفرقان ٤١ .
(٢) الكهف ٩٣ .
(٣) ابن كثير ١٠٤/٣ .
(٤) شرح المفصل ١٢٥/٧ .
(٥) اللسان كيد .

فأبت إلى فهم وما كدت آئبا وكم مثلها فارقتها وهى تصفر[1]

والمراد ما كدت أءوب ، ألا ترى أن المعنى أنه آب إلى فهم بعد أن كاد لا يؤوب ، لأن الأعداء أحاطوا به ، وقارب على الهلاك .

ثم قال ابن يعيش : « والقاطع فى هذا قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون ، وقد فعلوا الذبح بلا ريب » .

وقال ابن الأنبارى[2] : قال اللغويون : وما كدت أفعل معناه فعلت بعد إبطاء .

وقال ابن مالك[3] : « وقد يكون نفيها إعلاما ببطء الوقوع والثبوت حاصل » واستدل بقوله تعالى:[4] « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » أى يفقهون ببطء وعسر .

ورد الأخفش[5] هذا الرأى قائلا « اللغة قد أجازت لم يكد يفعل ، وقد فعل بعد شدة ، وليس هذا صحة الكلام ، لأنه إذا قال لم يكد يفعل : لم يقارب الفعل » .

وأنا أميل إلى رأى الأخفش ، فلا يصح أن يحدث الفعل بعد شدة وعسر إذا دخل النفى على كاد ، لأن الآية السابقة وهى قوله تعالى « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » معناها أنهم نسبوا الخير لله ، والشر

---

(١) «فهم» اسم قبيلة ، والبيت شاهد على استعمال خبر كاد اسما والأصح أن يكون فعلا مضارعا .

(٢) اللسان كيد (٣) شرح الكافية الشافية ١/١٤٠ والتسهيل ٦٠

(٤) النساء ٧٨ . (٥) اللسان (كيد) .

للرسول ، علما بأن الله هو الفعال . فما لهم لا يريدون أن يفهموا هذه الحقيقة . وليس المراد أنهم فهموها بعد عسر وشدة .

نخلص من ذلك بالنتائج الآتية :

١ ـ كاد المثبتة تدل على مقاربة الخبر والدنو منه لا القيام به .

٢ ـ كاد المنفية تنفى القرب من الخبر ، فإذا قلت : ما كاد محمد يقوم فهو أبلغ من قولك : ما قام محمد ، لأن نفى القرب من القيام أبلغ من نفي القيام نفسه ، وهذا يؤيده رأى الأخفش كما سبق ، ويبطل ما ذهب إليه الفراء من أن نفى كاد يثبت حصول الخبر .

٣ ـ إذا وجدت قرينة تدل على ثبوت الخبر بعد كاد المنفية جاز كما فى الآية « فذبحوها وما كادوا يفعلون » فحدوث الخبر فهم من قوله: فذبحوها وليس من كاد .

الوجـه الثالث

عمـــل كاد

كاد وأخواتها تعمل عمل كان ؛ فترفع المبتدأ ، وتنصب الخبر ، إلا أن خبرها لا يكون إلا فعلا مضارعا ، وإذا دل على الخبر دليل جاز حذفه ، ومنه الحديث : « من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجـل أخطأ أو كاد » والمعنى من السياق أنه أراد : أو كاد يصيب ، أو كاد يخطىء .

وخبر كاد يترجح تجرد خبره من « أن » ومنـــه قوله تعالى : وما كادوا يفعلون ، وقوله تعالى : يكاد زيتها يضيء .

ومثال الاقتران بأن قول الشاعر [١] :

كادت النفس أن تفيض عليه ... مذ ثوى حشو ريطه وبرود [٢]

---

(١) البيت فى شرح شـذور الذهب ص ٢٧٣ ، وأدب الـكاتب ص ٣١٤ تحقيق محى الدين

(٢) مذ ثوى : أى أقام ، وقوله: ريطة يفتح الراء وسكون الياء : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وبرود جمـع برد بضم الباء وسكون الراء ـ وهو الثوب ، وأراد هنا الأكفان التى يلف فيها الميت .